العائلة

مجلة ادبية علمية نسائية

(تصدر مرتين في الشهر)

﴿ الجزء العشرين — السنة الاولى ﴾

﴿ مصر في ١٥ يناير سنة ١٩٠٠ الموافق ١٤ رمضان المبارك سنة ١٣١٧ ﴾

﴿ أصول التربية ﴾

(لحضرة الكاتب الاديب موسى أفندي يوسف في قبلياس)

(لبنان)

يحسن بي يامعشر الادباء قبلما أشرع في التكلم عن التربية وآدابها ان أذكركم بما للابناء من المنزلة الرفيعة والاعزاز العظيم في عيون والديهم بحيث اذا اتضحت لكم معزة البنين هان عليكم ان تنظروا الى التربية بعين التعظيم والاعتبار

يحب الوالد ولده أعز شيء له في هذا الحياة الدنيا ويقول ان الذهب الاصفر لا يعادل شعرة من شعره ولا الفضة البيضاء توازي قلامة من ظفره أعز من الياقوت والمرجان وأثمن من اللؤلؤ والدرر اليتيمة لا ارزاق تفضل عليه ولا املاك يرغب فيها أكثر منه وانما هو الكنز الثمين الذي يشتريه الوالد بحاله وماله وصحته وعافيته ولا يكون خاسراً مغبوناً . كم من والد نراه يبذل كل أصفر وهاج وأبيض وضاح ليخلص ولده من نكبة بادهته أو تهلكة داهمته وكم من والد نراه يبيع ارزاقه واملاكه بابخس الاثمان حتى ينجي ولده من مرض المّ به فأذاقه أصعب الاوجاع والآلام وكم من والدة نراها تشق ثوبها وتمزق قلبها وتودّ بفرط الرضى ووافر السرور ان تتجرع كاس المنون عوضاً عنه فلذة كبدها الذي أخفته عن أبصارها ظلمات القبور

وليس الوالدون الادميون فقط ينشغفون بمحبة أولادهم ويتهامكون في انقاذهم من بوائق الايام وعثرات الليالي وانما المخلوقات الحية جميعاً سواء كانت من الحيوانات الكاسرة أم من الهوامات السافلة أم الحشرات الدميمة فانها تقضي شطراً طويلا من الزمن تعولها بفرط التعب وتظهر لها محبة عجيبة غريبة تحير الالباب وتدهش الابصار . ألا ترى ان الطائر اذا أخذت فراخة من عشه يحوم عليك متلهفا مغتاظاً ويدنو منك غير خائف من بأسك ولا مرتاع من شدة مراسك ليخطف فرخة من بين يديك ويرجع الى عشه غانما مسروراً أليس ذلك كله من مظاهر المحبة الوالديه واذا قتلت اجراء بعض الحيوانات البرية ألا ترى بعينيك انها تهجم عليك لتأخذ بانتار بقلب أشد من الحديد واقسى من الفولاذ غير جازعة من رصاص

البنادق ولا هيابة من شدة القوى وصلابة الشوى أليس ذلك كله من دواعي المحبة الغريزية الا يدل ذلك على ان الاولاد لهم قيمة عظيمة عند والديهم وانهم يشترون بالكنوز النفيسة ويفدون بالنفوس الثمينة

البنون والبنات من أعظم البركات التي ينعم بها الله على الانسان فانهم شرف وفخر له في أول زمانه وكنز وذخر في أخريات أيامه وهم سند وعضد يوم تزاحم البلايا ومعونة ومدد يوم تفاقم الرزايا قال النبي داود في مزاميره هوذا البنون ميراث من عند الرب ثمرة البطن أجرة كسهام بيد جبار هكذا ابناء الشبيبة طوبى للذي ملأ جعبته منهم

وقد كان القدماء يحسبون ان النساء العواقر لا يلدن أولاداً الا لان لعنة الالهة قد انسكبت عليهن وقد كان هؤلاء يلازمن بيوتهن ولا يخرجن الى الشوارع الا وهن مبرقعات محجبات ليتخلصن من سهام الاهانات والتعييرات ويكفينا على ذلك شاهداً ماجاء في كتب الاقدمين السالفين عن العواقر كيف ان حياتهن كانت شديدة المرارة يقضين أيامهن في الصلاة والصوم لعل الاقدار ترزقهن أولاداً فيتخلصن من معرة التعيير وتبعة اللوم والنساء قديماً وحديثاً اذا مضى عليهن بعد زواجهن سنة أو سنتان ولم يرزقن أولاداً كانت تظلم شمس النهار في عيونهن وينقطع في قلوبهن حبل الآمال واذ ذاك ينذرن للالهة النذور الكثيرة ويقربون لها الضحايا الثمينة ويعدن الفقراء والمعوذين بالمواعيد المتلفة وهذه النذور ما كانت شائعة عند البرابرة وعباد الاوثان في الايام الغابرة وانما هي من عوائد النصارى أيضاً في هذه الايام وهذه الاديرة والكنائس عندهم قد فتحت أبوابها لاقتبال نذور العواقر من كل صوب كل ذلك دليل بين على رغبة

الاباء في البنين وعلى مالهم في قلوبهم من المعزة والتـ ـليل ومن كان يقول انه لايحب البنين ولايرغب في البنات فهو اما جماد صلد لاينتج ولا يثمر وكاذب منافق يتكلم بما لايعلم ويهرف بما لايعرف

واذا كان للابناء عند الاباء أهمية واعتبار بهذا المقدار فكم ينبغي على هؤلاء ان يفرغوا وسعهم ويبذلوا مجهدوهم في تربيتهم التربية الحسنة على مناهج الآداب الصحيحة وسبل الفضائل السديدة حتى يكونوا في مستقبل حياتهم رجالا أفاضل ينفعون بسيرتهم وأعمالهم القريب والبعيد وكم يقتضي لهم ان ينتهجوا امامهم كل سبيل يهديهم الى مناهل الخير ومصادر البركات وان يتدبروا كل وسيلة توصلهم في مستقبلهم ان يرتقوا الى أشرف الوظائف والاعمال ويرتقوا الى اسمى المقامات وكم يحسن بالكتبة المجيدين ان يسيروا بجياد أقلامهم في ميادين التربية الابوية حتى يأتوا الوالدين بما ينفعهم في تربية أولادهم وبالخطباء المفلقين ان يرفعوا أصواتهم من على المنابر حتى يدوي صداها في الخافقين مبينين فيها أهمية التربية وآتين عليها بالشروح الطويلة والتفاصيل الجزيلة وكم يجدر بالواعظين الاتقياء ان يجهروا باصواتهم على مسامع الحاضرين ان التربية واجبة على الاباء ديناً وشرعاً وأدبا

الولد الذي يتربى حسبما يجب وينبغي يكون بركة لوالده الى الابد وأما الذي يساء في تربيته فلا يرى منه والده سوى الهم والنكد والغم والكمد

ولا يغرب عن علمكم أيها الاباء ان الناس متناقضو المذاهب مختلفو المشارب من جهة التربية ولا واحد منهم يوافق الآخر في طرق التعليم والتهذيب فما يستحسنه هذا يستهجنه ذاك ومايحبه ذاك يكرهه هذا وهكذا فاني لما طالعت كتب الاقدمين والمحدثين في تربية وآدابها

وشاهدت بعيني وسمعت باذني كيف تربية البنين في هذه الايام رأيت ان الـواد الاكبر من الناس يجهلون آداب التربيـة تمام الجهـل ولا يعرفون حلالهـا من حرامها ولاغتها من سمينها ولهـذا السبب فاني قد أخذت الآن على نفسي ان أبين بعض أغلاط أولئك الاقوام متكلما على الموضوع من الوجه السلبي لانه من اظهر الغلط اظهر الصحيح أيضاً وبضـدها تتبين الاشياء

(١) رأيت بعـيني ان بعض النسـاء (وخصوصاً المتفرنجات) حينما يلدن أولاد لايكلفن نفوسهن مشقة ارضاعهم وانما يسلمنهم الى مرضعات مستأجرات ليفعلن بهم كيف يشاءن ولا يبالين ان كانت المرضعات صحيحات الجسم خاليات من الامراض الوبيلة والعلل المعدية — هـذه سنة ماأنزل الله بها من سلطان ولا يسلم بها عقل انسان لانها تدل على قساوة قلب لايظهرها حيوان أعجم ولاتبديها النساء المتوحشات في مجاهل افريقيا

(٢) وعلمت علم اليقين ان بعض النسـاء لايسمحن لاطفالهن ان يتمتعوا بنور الشمس البهيج ولا ان يتنشقوا النسيم العليل وانما يحجبنهم في الاسرة والاقطة مفرزين مدللين غير عالمات ان ذلك الترف وذلك الدلال في زمن الصغر سيهوى بهم الى الضعف والانحلال في زمن الكبر . عرض ابنك في صغره للمشقات اليسيرة والاتعاب الزهيدة الطفيفة فتراه بعـد ذلك رجلا باسلا لايرهب ان لوافح الحر تذيب جسمه الضليع ولا نوافح القران تجمد مابه من قوة الشباب وشجاعة الرجال وذلك بين ظاهر لايحتاج الى الزيادة في البرهان

(٣) ووجدت ان أكثر الوالدين حين بلغ أولادهم زمن الادراك يبذلون لديهم كل رخيص وغال في سبيل تلقينهم العلوم والفنون ويجتهدون غاية الجهد في تحويل قواهم وتوجيه أميالهم و غائبهم الى احتراف الصنائع المختلفة واكتساب لدراهم الغزارة غاضين أبصارهم عن تعليمهم مبادئ الخير وتثقيفهم على سنن الفضيلة حاسبين ان الفضيلة والاداب لادخل لها في تقدم الانسان وارتقائه في هذه الحياة فهذا ذنب لايغتفر وغلطة من أكبر الغلطات ينبغي عليهم ان يجتنبوها لان الانسان مهما وعى من العلوم القديمة والحديثة وتفنن بسائر الفنون الجميلة وهو عار من الفضيلة وبعيد عن الاداب فعلمه يحسب عاراً عليه وقلما تثق الناس بمعاملته وتميل الى مجاملته وانما يهربون منه « هرب السليم في المريض الاجرب » ومهما تعاظم غناه وازدادت دراهمه ودنانيره وكان خالياً من كنوز الفضل وجواهر التقى فهو مذموم ممقوت لايجديه غناه الا ذماً وشتماً ولا تكسبه دراهمه الا عاراً وشناراً

الانسان بأدبه يتسنم غارب المجد والغنى ويحرز لنفسه المقامات العالية في أندية الفضل والاعتبار وبقلة أدبه أيضا يسفل الى دركات الامتهان ويتجرع في حماة الهوان فالجاهل الاديب خير من الفيلسوف الكافر والفقير المهذب أشرف من غني بلا أدب « ومن كان عديم المدارك العقلية وقليل المعرفة والثروة ولكنه أديب عاقل فهو ذو نفوذ وسطوة في كل مقام أقام به ولا يستنكف أحد من معاشرته ومكالمته وانما الجميع يعاملونه عن طيبة خاطر ويتقربون منجذبين اليه بما فطر عليه من رمد الطباع وحلاوة الشمائل

البقية تأتي